٧٤ – باب الحلم والأناة والرفق

تعريف الرفق :

قال ابن حجر: الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف.

وقال المناويّ رحمه الله: "الرفق "– بكسر الراء، وسكون الفاء–: لِيْنُ الجانب بالقول، والفعل، والأخذُ بالأسهل، والدفع بالأخف.

وقال الزرقاني –رحمه الله–: الرفق –بالكسر– لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بأيسر الوجوه وأحسنها .

قَالَ الله تَعَالَى: {وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: {وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤ – ٣٥]، وقال تَعَالَى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}[الشورى: ٤٣].

==========

قَالَ الله تَعَالَى (وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) تقدم شرحها .

وقال تَعَالَى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) (خُذِ الْعَفْوَ) أي: من أخلاق الناس (ما جاء منهم فاقبل منهم). قال هشام بن عُرْوة، عن أبيه: أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. وفي رواية قال: خذ ما عفي لك من أخلاقهم.

– لا تدقق لا تستقصي عن البواطن، اعفوا سامح اغفل تغاضى، اقبل العذر، سامح من أخطأ، لا تشق على الناس ابداً، صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك.

قال السعدي : (خُذِ الْعَفْوَ) أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم. (تفسير السعدي)

(وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) قال البخاري: العرف المعروف.

والمعروف: كل خصلة حميدة جميلة يحبها الله ورسوله، من الأقوال والأفعال والأعمال.

قال السعدي: أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية.

(وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) أي: إذا أقمت عليهم الحجة وأمرتهم بالمعروف فجهلوا عليك فأعرض عنهم؛ صيانة له عليهم ورفعا لقدره عن مجاوبتهم. وهذا وإن كان خطابا لنبيه عليه السلام فهو تأديب لجميع خلقه. (القرطبي)

– قال السعدي: ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه.

وقد أمر تعالى بالإعراض عن الجاهلين.

فقال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا).

قال ابن كثير: أي: إذا سَفه عليهم الجهال بالسّيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً.

وقال تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

وقال تعالى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).

قال ابن القيم: وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ).

وقال القرطبي: وهذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

وقال السعدي: وهذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم.

من فوائد الآية :

١ – الحث على التخلق بمكارم الأخلاق.

٢ – فضل العفو عن الناس.

٣ – الحث على تعلم ما يؤدي إلى حسن الخلق.

٤ – الحث على الأمر بالمعروف وبكل خير.

٥ – من علامات حسن الخلق الإعراض عن الجاهلين بعد قيام الحجة عليهم.

وقال تَعَالَى (وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

(وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ) أي : لا يستوي فعل الحسنة وفعل السيئة في الحقيقة والجزاء والعاقبة .

قال السعدي : أي لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ).

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي : ادفع الإساءة بالتي هي أحسن من غيرها ، ادفعها بالصبر والحلم والصفح عمن ظلمك .

قال ابن كثير : (ادفع بالتي هي أحسن) أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وقال السعدي : أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا) أي : إذا صنعت ذلك تكون العاقبة أن الرجل :

(الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ) أي : عداوة من الجانبين .

(كَأَنَّهُ وَلِيٌّ) أي : صديق لك .

(**حَمِيمٌ**) مخلص ، فتنقلب العداوة بينكما إلى محبة .

(**وَمَا يُلَقَّاهَا**) أي : وما يقبل هذه الوصية ويعما بها .

قال السعدي : (وَمَا يُلَقَّاهَا) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة .

(**إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا**) أي : تخلّقوا بخلق الصبر ، فصبروا على أمر الله ونهيه ، وصبروا على أذى الناس وعلى كظم الغيظ .

قال ابن كثير : أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك ، فإنه يشق على النفوس .

وقال السعدي : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا) نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟ ... فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

(**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**) أي : صاحب نصيب عظيم من خصال الخير وكمال النفس الموصل للسعادة الدائمة .

قال ابن كثير : أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والأخرى .

وقال السعدي : لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق.

من فوائد الآية :

١-أن الحسنة والسيئة ضدان لا يجتمعان ، ومن ذلك : الكلمة الطيبة ، والكلمة الخبيثة .

٢-الإرشاد إلى ما تُدفع به إساءة الصاحب .

٣-أن الله تعالى مقلب القلوب، فقد يكون العدو صديقًا والصديق عدوًا .

٤-أن الإنسان لا ينبغي أن تأخذه العزة بالإثم ، فيقول : لا يمكن أسامح من أخطأ علي ، أو يقول لابد آخذ حقي منه .

٥-أن المدافعة بالتي هي أحسن شاقة على النفس ، فلا يقوى عليه إلا من صبر .

٦-فضيلة الصبر والحث عليه .

٧-أن من سلك هذه الطريق؛ وهي مدافعة السيئة بما هو أحسن، فإنه ذو نصيب عظيم من الأخلاق والثواب والرزانة والرجولة والشهامة وغير ذلك .

٨-أن من ثمرات الصبر احتمال الأذى .

٩-أن الدفع بالتي هي أحسن يثمر الألفة بين المؤمنين ، وإزالة العداوة والشحناء .

١٠-أن من مقاصد الشريعة توثيق الأخوة بين المؤمنين .

وقال تَعَالَى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) .

(**وَلَمَنْ صَبَرَ**) على ما يناله من أذى الخلق .

(**وَغَفَرَ**) لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم .

(**إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه .

قال ابن عاشور : هَذا تَرْغِيبٌ فِي العَفْوِ والصَّبْرِ عَلى الأذى وذَلِكَ بَيْنَ الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ ظاهِرٌ .

من فوائد الآية :

١-أن من أعظم أخلاق المؤمن الصبر عمن أساء إليه والعفو عنه ، وأن ذلك من الأمور المرغب فيها جداً .

٢-أن العفو يحتاج إلى عزيمة: وصف الله الصبر والغفران بأنهما من عزم الأمور؛ أي من الأمور التي تحتاج إلى قوة إرادة وثبات.

٣-الجمع بين الصبر والعفو: الصبر على الأذى مع القدرة على ضبط النفس، ثم العفو، من مكارم الأخلاق.

الخلاصة :

الآية ترشد إلى أن الصبر عند الأذى والعفو عند القدرة من الأخلاق العظيمة التي تدل على قوة النفس وعزيمة الإنسان.

٦٣١ – وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله (إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه) متفقٌ عَلَيْهِ.

٦٣٢ – وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ (إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) رواه مسلم.

٦٣٣ – وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ (إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ) رواه مسلم.

٦٣٤ – وعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ (مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ) رواه مسلم.

==========

١-هذه الأحاديث فيها فضل الرفق في الأمور كلها ، فمن فضائل الرفق :

أولاً : أن الله رفيقٌ يُحِبُّ الرفق

لقوله ﷺ (إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفق) .

قال أبو العباس القرطبي -رحمه الله- (يُحب الرفق) أي: يَأمر به، ويحض عليه، وقد تقدم أنَّ حُبَّ الله للطاعة شَرْعُه لها، وترغيبه فيها، وحُبَّ الله لمن أحبه من عباده: إكرامه له.

وقال ابن رسلان -رحمه الله- (يحب الرفق) وهو اللين والتسهيل في الأمور، أي: يأمر به ويحض عليه، وحب الله للطاعة شرعه لها وترغيبه فيها.

ثانياً : وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ

لقوله ﷺ (... وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ) .

قيل : أن الله تعالى يعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل، وفي الآخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف .

وقيل : أن الرفق يتأتى به من الأغراض ما لا يتأتى بغيره، ويسهل به ما لا يسهل بغيره من المطالب .

ثالثاً : إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ

لقوله ﷺ (إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ ..) .

إذ هو سبب لكل خير .

قال المناوي –رحمه الله– لأن به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنَافَر وتبدَّد، ويرجع إلى المأوى ما شذَّ، وهو مُؤَلِّف للجماعات، جامع للطاعات ... ومنه أُخِذَ أنه ينبغي للعالم إذا رأى مَن يُخِلُّ بواجب، أو يفعل محرمًا أن يترفَّقَ في إرشاده، ويتلطَّف به .

قال القرطبي –رحمه الله– وبيان هذا: بأن يكون أمرٌ ما من الأمور سَوَّغَ الشرع أن يُتوصل إليه بالرفق وبالعنف، فسُلوك طريق الرفق أولى؛ لما يحصل عليه من الثناء على فاعله بحسن الخُلق، ولما يترتب عليه من حسن الأعمال، وكمال منفعتها؛ ولهذا أشار ﷺ بقوله: «ما كان الرفق في شيء إلا زَانَهُ».

وضِدُّه: الخَرَقُ (أي: الجهل) والاستعجال، وهو مفسد للأعمال، وموجب لسوء الأحدوثة، وهو المعبَّر عنه بقوله: «ولا نُزِعَ من شيء إلا شَانَه» أي: عَابَه، وكان له شَينًا.

وأما الخَرَقُ والعنف: فمُفَوِّتَان مصالح الدنيا، وقد يفْضِيَان إلى تفويت ثواب الآخرة؛ ولذلك قال ﷺ: مَن يُحْرَم الرفق يُحرم الخير، أي: يفضي ذلك به إلى أن يُحرم خير الدنيا والآخرة . (المفهم)

رابعاً : ودعاء النبي ﷺ لمن رفق بأمته

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ في بيتي هَذَا (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِي مِنْ أَمْرِ أُمتي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارفُقْ بِه) رواه مسلم.

قال النووي: هَذَا مِنْ أَبْلَغ الزَّوَاجِر عَنْ الْمَشَقَّة عَلَى النَّاس، وَأَعْظَم الْحَثّ عَلَى الرِّفْق بِهِمْ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ الْأَحَادِيث بِهَذَا الْمَعْنَى.

قال ابن القيم –رحمه الله– مَن رَفَقَ بعباد الله رَفَقَ الله به...، ومَن عامَل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة؛ فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه .

خامساً : من علامات الخير في البيت دخول الرفق فيها

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ) رواه أحمد.

قال الزبيدي –رحمه الله– قال ﷺ (إذا أحبَّ الله أهل بيت أدْخَلَ عليهم الرفق) بأن يرفق بعضهم ببعض، فيستد أمرهم.

سادساً : من أعطي الرفق فقد أريد به خيراً

عن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا (إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) رواه أحمد.

وقال ابن الجوزي –رحمه الله– وهذا لأن عموم الأشياء لا تتم إلا بالرفق، فإذا حُرمه الإنسان لم يكد غرضه يتم .

وقال الصنعاني –رحمه الله– (من أعْطي حظَّه) نصيبه (من الرفق) في أموره كلها (فقد أُعطي حظَّه من الخير) فإن الرفق خير كله، ولذا ورد أن الرفق ما كان في شيء إلا زانه.

وقال المناوي : إذ به تُنال المطالب الدنيوية والأخروية، وبفوته يفُوتان.

وقال السندي –رحمه الله– من جعله الله تعالى محرومًا من الرفق، ممنوعًا منه، فقد جعله محرومًا من الخير كله؛ إذ الخير لا يُكتسب إلا بالرفق والتأني وترك الاستعجال في الأمور .

سابعاً : وأخبر النبي ﷺ أن من يحرم الرفق فهو المحروم

لقوله ﷺ (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرِمِ الخيْرَ كُلَّه) .

وذلك أنَّ الرفق به انتظام خير الدارين، واتِّساق أمرهما، وفي العنف ضد ذلك، قال الله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ).

قال ابن الجوزي –رحمه الله– قوله (مَن يُحرم الرفق يُحرم الخير) وهذا لأن عموم الأشياء لا تتمُّ إلا بالرِّفْقِ، فإذا حُرِمَهُ الإنسان لم يَكَدْ غرضه يَتِمُّ.

وقال ابن عثيمين: يعني أن الإنسان إذا حرم الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنه يحرم الخير كله أي فيما تصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير فيما فعل وهذا شيء مجرب ومشاهد أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير.

قال القاضي عياض : قوله (مَن يُحرم الرفق يُحرم الخير) دلَّ أنَّ الرِّفْقَ خير كله، ودليل على فضله؛ لأنه سبب كل خير، وجالب كل نفع، بضدِّ الْخُرْق والعنف .

وقال ابن رسلان –رحمه الله– (... يُحْرَم الخيرَ) أي: يفضي ذلك به إلى أن يُحْرَم خير الدّنيا والآخرة، فإن مدار الأفعال كلها على التسهيل والتيسير من الآدمي ومن غيره من الدواب ومن غيرهم.

ثامناً : وأوصى النبي ﷺ من بعثهم بالتيسير والتبشير

عن أبي موسى (أَنَّ النَّبِي ﷺبَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا) متفق عليه.

تاسعاً : والرفق من هدي وصفات النبي ﷺ

قال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين).

٢–هذه النصوص التي مرت معنا تدل على أن الرفق في الأمور والرفق بالناس واللين والتيسير من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية، وأنها من صفات الكمال، وأن الله تعالى من صفاته أنه رفيق، وأنه يحب من عباده الرفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه، ويعدهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيءٍ آخر. ويفهم من النصوص أن العنف شَيْن خلقي، وأنه ظاهرة قبيحة، وأن الله لا يحبه من عباده.

٣ – من أقوال السلف:

قال عروة بن الزبير قال: كان يقال: الرفق رأس الحكمة.

قال وهب بن منبه: الرفق ثني الحلم.

وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال: الرفق يمن، والخرق شؤم.

وقال ابن القيم: من رَفَقَ بعبادِ الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه.

قال ابن حجر: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

وقال أَبُو حاتم: الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها إذ اللَّه تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة.

٤–**قال النووي** –رحمه الله–: وفي هذه الأحاديث: فضل الرفق، والحث على التخلق، وذم العنف، والرفق سبب كل خير.

٥-**قال ابن حبان** -رحمه الله-: الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة، والخفة فيها؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها، ومن مُنع الرفق مُنع الخير، كما أنَّ من أُعطي الرفق أُعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكَّن مِن بُغْيَته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب، إلا بمقارنة الرفق، ومفارقة العجلة.

٦-**وقال ابن حبان** -رحمه الله- أيضًا: العاقل يلزم الرفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات؛ لأن الزيادة على المقدار في الْمُبْتَغَى عَيْبٌ، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عَجْزٌ، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العُنف، ولا دليل أَمْهَر مِن رِفْقٍ، كما لا ظهير أَوْثَقَ من العقل، ومِن الرفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز تُرجى السلامة، وفي ترك الرفق يكون الخَرَق، وفي لزوم الخَرَق تُخاف الهلكة. ٧-**وقال الغزالي** -رحمه الله- الرِّفْقُ محمود، ويُضَادُّه العنف والحِدَّة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حُسن الخُلق والسلامة، وقد يكون سببُ الحِدَّةِ الغَضَب، وقد يكون سببُها شدة الحرص واستيلاءه، بحيث يدهش عن التفكر، ويمنع من التثبُّت؛ فالرفق في الأمور ثمرة لا يُثمرها إلا حسن الخُلق، ولا يحسن الخُلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة، وحِفْظُهما على حدِّ الاعتدال؛ ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، وبالغ فيه.

وقال الغزَّالي -رحمه الله- أيضاً : لَمَّا كانت الطِّباع إلى العُنف والحِدَّة أمْيَل، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرِّفق أكثر، فلذلك كَثُر ثناءُ الشَّرع على جانب الرِّفق دون العُنف، وإنْ كان العُنف في محلِّه حَسَنًا، كما أنَّ الرِّفق في محله حَسَن .

٨-**قال الشيخ ابن سعدي** -رحمه الله- ومن أسمائه (الرفيق) في أفعاله وشرعه، وهذا قد أُخِذَ من قوله ﷺ في الحديث الصحيح (إنَّ الله رفيق يحب أهل الرفق، وإنَّ الله يعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف) ... فالله تعالى رفيق في أفعاله، خَلَق المخلوقات كلها بالتدريج شيئًا فشيئًا بحسب حكمته ورِفْقِهِ، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة ... والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقًا في أموره متأنيًا، ومع ذلك لا يُفوِّت الفُرَص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عَرَضت .

٩-**قال القاضي عياض** -رحمه الله- الرفق خير كُله، ودليل على فضله؛ لأنه سبب كُل خير، وجالِب كل نفع، بضد الخُرْق (الحُمْق والجهل) والعنف .

١٠-**قال السندي** -رحمه الله- مَن جعله الله تعالى محرومًا من الرِّفق ممنوعًا منه فقد جعله محرومًا من الخير كله؛ إذ الخير لا يُكتسب إلا بالرفق والتأني وترك الاستعجال في الأمور .

١١-من دلالات الأحاديث السابقة في الرفق نستنبط :

كون الرِّفق خُلُقاً إسلاميًّا أصيلاً، حثَّ عليه النبيُّ ﷺ ودعا إليه، ورغَّب فيه.

حبُّ الله تعالى للرِّفق ومجازاته لمن اتَّخذه سلوكاً له في حياته؛ يدل على احتفاء الله تعالى بهذا الخُلُق، وتلك النِّعمة العظيمة.

الرفق من الأخلاق المتعدِّية الأثر إلى الغير، إذ أنَّ الإنسان لا يصدق عليه وصف الرَّفيق إلاَّ إذا رَفَقَ بغيره؛ سواء من الأبناء أو الأزواج أو الأقارب أو غيرهم.

٦٣٥ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ (إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأنَاةُ) رواه مسلم.

==========

(**الأشج**) اسمه المنذر بن عائذ .

١-الحديث دليل على التَّرغيبِ في التَّخلُّقِ بهاتَينِ الخَصلتَينِ (الحِلمِ والأناةِ) لمحبَّةِ اللهِ تعالى لهما.

٢-سبب قول النبي ﷺ له هذا الكلام ؟

قال النووي : وَسَبَب قَوْل النَّبِيّ ﷺ ذَلِكَ لَهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيث الْوَفْد أَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا الْمَدِينَة بَادَرُوا إِلَى النَّبِيّ ﷺ، وَأَقَامَ الْأَشَجّ عِنْد رِحَالهمْ فَجَمَعَهَا وَعَقَلَ نَاقَته وَلَبِسَ أَحْسَن ثِيَابه ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ: فَقَرَّبَهُ النَّبِيّ ﷺ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبه، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ النَّبِيّ ﷺ: "تُبَايِعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَقَوْمِكُمْ" فَقَالَ الْقَوْم: نَعَمْ. فَقَالَ الْأَشَجُّ يَا رَسُول اللَّه إِنَّك لَمْ تُزَاوِلْ الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ. نُبَايِعك عَلَى أَنْفُسِنَا، وَنُرْسِل مَنْ يَدْعُوهُمْ. فَمَنْ اِتَّبَعَنَا كَانَ مِنَّا وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: "صَدَقْت، إِنَّ فِيك خَصْلَتَيْنِ". الْحَدِيث.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاض : فَالْأَنَاة تَرَبُّصُهُ حَتَّى نَظَرَ فِي مَصَالِحِه وَلَمْ يَعْجَلْ ، وَالْحِلْم هَذَا الْقَوْل الَّذِي قَالَهُ الدَّالّ عَلَى صِحَّة عَقْله ، وَجَوْدَة نَظَرِهِ لِلْعَوَاقِبِ .

قُلْت: وَلَا يُخَالِف هَذَا مَا جَاءَ فِي مُسْنَد أَبِي يَعْلَى وَغَيْره أَنَّهُ لَمَّا قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ لِلْأَشَجِّ: "إِنَّ فِيك خَصْلَتَيْنِ..." الْحَدِيث . قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَا فِيَّ أَمْ حَدَثَا؟ قَالَ: "بَلْ قَدِيم" قَالَ: قُلْت: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا. (شرح مسلم)

وهذا الحديث أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد : عَمن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَشَجُّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ، قُلْتُ: مَا هُمَا؟ قَالَ: الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ ، قُلْتُ: أَقَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا؟ قَالَ: بَلْ قَدِيمًا ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا) .

٣- فضل الحلم ، وهو هنا : العقل هنا وضبط النفس .

فالله تعالى حليم يحب من عباده الحلماء.

قال تعالى (والله عليم حليم) .

والحليم اسم من أسماء الله، ومعناه: الذي لا يعاجل بالعقوبة.

قال الطبري: ذو حلم على خلقه، وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضاً.

وقال السعدي: والحليم الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة، والباطنة مع معاصيهم، وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويمهلهم كي ينيبوا.

وتسمية الله تعالى نفسه بالحليم، وتكراره في القرآن على هذا النحو إشارة إلى شرف هذا الاسم، ودعوة للدعاة الذين هم ورثة الأنبياء إلى أهمية الاتصاف به، والتحلّي به في تعاملهم مع المدعوين.

وقد أثنى الله على خليله ونبيه إبراهيم :

بقوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ).

وجعل من صفات نبيه إسماعيل الحلم .

وذلك بقوله (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ).

والحلم من الصفات التي يحبها الله .

كما في حديث الباب (إن فيك خصلتين يحبها الله: الحلم والأناة).

وبيّن رسول الله ﷺ أن الحلم يُظهر قوة إرادة صاحبه، وتحكّمه في انفعالاته .

فقد جاء في الحديث (ليس الشديدُ بالصُّرعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) .

٤-فضل الأناة .

قال النووي : هي التثبت وعدم العجلة .

وقال أبو هلالٍ العَسكريُّ: الأناةُ: هي المبالغةُ في الرِّفقِ بالأمورِ والتَّسبُّبِ إليها .

وقد قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس تثبتًا وأناةً في الأمور كلها .

وقال ﷺ –كما في حديث الباب– (للأشَجِّ؛ أشَجِّ عبدِ القَيسِ: إنَّ فيك خَصلتَينِ يحِبُّهما اللهُ: الحِلمُ، والأناةُ) .

والمرادُ بالأناةِ تربُّصُه حتَّى نظر في مصالحِه ولم يَعْجَلْ .

وكان ﷺ لا يقاتل أحدًا من الكفار إلا بعد التأكد من أنهم لا يقيمون شعائر الإسلام .

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَيَنْظُرَ: فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ) .

وعن أبي هُرَيرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ (... لو لَبِثتُ في السِّجنِ ما لَبِث يوسُفُ لأجبْتُ الدَّاعيَ) .

قال النَّوويُّ : هو ثناءٌ على يوسُفَ عليه السلام وبيانٌ لصَبرِه وتأنِّيه، والمرادُ بالدَّاعي رسولُ المِلكِ الذي أخبر اللهُ سُبحانه وتعالى أنَّه قال: "ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ" فلم يخرُجْ يوسُفُ ﷺ مبادِرًا إلى الرَّاحةِ ومُفارقةِ السِّجنِ الطَّويلِ، بل تثبَّت وتوقَّر وراسَل المِلكَ في كَشفِ أمرِه الذي سُجِن بسبَبِه، ولتَظهَرَ براءتُه عندَ المِلكِ وغَيرِه، ويلقاه مع اعتقادِه براءتَه ممَّا نُسِبَ إليه، ولا خَجلَ من يوسُفَ ولا غيرِه، فبَيَّنَ نبيُّنا ﷺ فضيلةَ يوسُفَ في هذا وقُوَّةَ نفسِه في الخيرِ، وكمالَ صبرِه وحُسنَ نَظَرِه، وقال النَّبيُّ ﷺ عن نفسِه ما قاله تواضُعًا وإيثارًا للإبلاغِ في بيانِ كمالِ فضيلةِ يوسُفَ ﷺ. واللهُ أعلَمُ.

وقال القاسِميُّ: مَدَحه النَّبيُّ ﷺ على هذه الأناةِ، كان في طَيِّ هذه المِدْحةِ بالأناةِ والتَّثبُّتِ تنزيهُه وتبرئتُه ممَّا لعلَّه يسبِقُ إلى الوهمِ أنَّه هَمَّ بامرأةِ العزيزِ همًّا يؤاخَذُ به؛ لأنَّه إذا صبر وتثبَّت فيما له ألَّا يَصبِرَ فيه، وهو الخروجُ من السِّجنِ، مع أنَّ الدَّواعيَ متوافِرةٌ على الخروجِ منه، فلأَنْ يَصبِرَ فيما عليه أن يصبِرَ فيه من الهَمِّ، أولى وأجدَرُ .

في أمور الخير يسن المبادرة .

عن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ ﷺ أنَّه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ (التُّؤَدةُ في كُلِّ شيءٍ إلَّا في عَمَلِ الآخِرة) رواه أبو داود .

قال القاري: التُّؤَدةُ: بضَمِّ التَّاءِ وفَتحِ الهمزةِ، أي: التَّأنِّي، "في كُلِّ شيءٍ" أي: من الأعمالِ. "خيرٌ" أي: مُستحسَنٌ "إلَّا في عَمَلِ الآخرةِ" أي: لأنَّ في تأخيرِ الخيراتِ آفاتٍ. ورُوِيَ أنَّ أكثَرَ صِياحِ أهلِ النَّارِ من تسويفِ العَمَلِ. قال الطِّيبيُّ: وذلك لأنَّ الأمورَ الدُّنيويَّةَ لا يُعلَمُ عواقِبُها في ابتدائِها أنَّها محمودةُ العواقِبِ حتى يُتعجَّلَ فيها، أو مذمومةٌ فيُتأخَّرُ عنها، بخلافِ الأمورِ الأُخرَويَّةِ؛ لقولِه تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) .

قال ابنُ حِبَّانَ : الخائِبُ من خاب عن الأناةِ، والعَجِلُ مخطِئٌ أبدًا، كما أنَّ المتثَبِّتَ مُصيبٌ أبدًا .

وقال أيضًا: الرَّافِقُ لَا يَكَادُ يُسْبَقُ، كَمَا أَنَّ الْعَجِلَ لَا يَكَادُ يَلْحَقُ، وَكَمَا أَنَّ مَنْ سَكَتَ لَا يَكَادُ يَنْدَمُ، كَذَلِكَ مَنْ نَطَقَ لَا يَكَادُ يَسْلَمُ، وَالْعَجِلُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ، وَيُجِيبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَيَحْمَدُ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَ.

٥– ذم العجلة :

والعجلة : الإسراع في طلب الشيء قبل وقته.

وقد بين تعالى أن العجلة من طبع الإنسان ؛ لتنبيهه على ضرورة التعامل بضدها .

فقال عزَّ وجل (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) .

وقد جاء في الأثر (الْعَجَلَةُ مِنَ اَلشَّيْطَانِ) .

قال المناوي : والعَجَلَة مِن الشَّيطان أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأنَّ العَجَلَة تمنع مِن التَّثبُّت، والنَّظر في العواقب.

وقال ابن القيّم: العَجَلَة مِن الشَّيطان فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحدَّةٌ في العبد تمنعه مِن التَّثبُّت والوقار والحِلْم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنع عنه أنواعًا من الخير.

وقال الغزالي: الأعمال ينبغي أن تكون بعد التَّبصرة والمعرفة، والتَّبصرة تحتاج إلى تأمُّل وتمهُّل، والعَجَلَة تمنع مِن ذلك، وعند الاستعجال يروّج الشَّيطان شرَّه على الإنسان مِن حيث لا يدري.

والعجلة: صفة جُبِلَ الإنسان وفطر عليها إلا أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حذَّره منها.

كما قال ربنا تعالى (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ).

ولأن العجلة من مقتضيات الشهوة فقد ذُمت في القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ).

وقوله تعالى (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ).

وغيرهما من الآيات التي تبين قبح العجلة .

بل إن الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن العجلة بالقرآن (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ).

وقوله تعالى أيضاً (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ).

وثمرة العجلة الندامة .

قال الشاعر:

لا تعجلنّ فليس الرّزق بالعجل *** الرّزق في اللّوح مكتوب مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرّزق يطلبنا *** لكنّه خلق الإنسان من عجل

قال ابن الأعرابيّ- رحمه الله تعالى-: كان يقال: لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الملول ذا إخوان، ولا الحرّ حريصاً، ولا الشّره غنياً.

ومن الأمثلة على العجلة المذمومة:

الاستعجال بالدعاء على الأهل والمال والولد عند الغضب .

قال تعالى (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً).

وعن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبُ لَكُم).

ولعل كثيرًا مما نرى من المصائب والأمراض وفساد الأولاد يكون بسبب الدعاء عليهم، وكثير من الناس لا يشعر بذلك، فهل من مدكر؟!

ومنها: استعجال المرء إجابة دعائه.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال (يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي).

ومنها استعجال بعض المصلين في صلاتهم، فلا يُتِمّونَ رُكُوعَهَا ولا سُجُودَهَا ولا يَطْمَئِنّونَ فيها:

وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ (أنَّ رجُلاً صلَّى عند النبي ﷺ فقال له النبيُّ ﷺ: (ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) -ثلاث مرات- في كل مرة يقول له ذلك) .

ومنها أن يستبطئ الإنسان الرزق فيستعجل، فيطلبه من طرق محرمة ووجوه غير مشروعة:

فعن أبي أمامة ﷺ قال ﷺ (إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي روعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ).

٦-بعض الأمور يستحب بل ربما يجب في بعضها العجلة؟

أولاً: الاستعجال في التوبة إلى الله:

قال تعالى (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً).

فالتوبة من الأمور العاجلة التي لا تحتاج إلى تسويف؛ فلربما أتى الموت بغتةً فيحتاج الإنسان أن يتوب، ولكن قد أُغلق باب التوبة دونه!

ثانياً: الاستعجال في أداء الحقوق إلى أصحابها.

عن عقبة قال (صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصرَ، فسلم ثم قام مسرعًا، فتخطى رقابَ الناس إلى بعض حُجَر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم عجبوا من سرعته، فقال: ذكرتُ شيئًا من تِبْرٍ عندنا؛ فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته).

ثالثاً: ومنها الاستعجالُ في أداء الدَّيْنِ؛ لخطورته.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (أخذ أموال الناس يريد أداءَها، أدَّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافَها، أتلفه الله). رواه البخاري

وقد ذكر العلماء أن العجلة مذمومة إلا في خمسة أشياء: تعجيل التوبة، تزويج البكر، سداد الدين، والصلاة إذا وجبت، والجنازة إذا حضرت.

٧-فضل الأشج أشج عبد القيس .

٨-فضل الحلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب .

٩-فضل الحكمة في الأمور ،كما سبق في سبب مدح النبي ﷺ للأشج لحكمته .

١٠-فضل التأني وعدم العجلة .

١١- أن العجلة مذمومة إلا ماكان من أمر الآخرة .

١٢-الحث على التخلق بالحلم والأناة.

١٣-الحض على التثبت في الأمور والنظر في العواقب.

١٤-الحلم والأناة من الصفات الحميدة.

١٥-حمد الإنسان لله تعالى على ما جبله عليه من الأخلاق الحميدة .

١٦-جَوَازُ مدحِ الرجلِ مشافهةً بما فيه إذا أُمِنَت عليه الفتنةُ، والأصلُ منعُ ذلك؛ لقوله ﷺ: إيَّاكُم والمِدح فَإِنَّهُ الذَّبح ، ولقوله للمادح : وَيلَكَ! قَطَعتَ عُنُقَ أَخِيكَ .

جاءت أحاديث كثيرة في النهي عن المدح :

عن أبي بكرة قَالَ (مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلاً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ : وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا». متفق عليه

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ فَقَالَ لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ) متفق عليه .

عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ (قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ) وفي لفظ (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ).

وجاءت أحاديث كثيرة في المدح :

قَوْلُهُ ﷺ لأبي بَكْرٍ رضي الله عنه:"أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ "أيْ: مِنَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ جَمِيعِ أَبْوابِ الْجَنَّةِ لِدُخُولِهَا، وَفِي الحَدِيثِ الآخَرِ: "لَسْتَ مِنْهُمْ" أيْ: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلاءَ.

وَقَالَ ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه: (مَا رَأَىكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّا إلاَّ سلكَ فَجّاً غَيْرَ فَجّك).

وَالأَحَادِيثُ فِي الإِبَاحَةِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُ جُمْلَةً مِنْ أَطْرَافِهَا فِي كتاب: "الأَذْكَار".

وقال في كتاب الأذكار: وأما أحاديث الإباحة فكثيرة لا تنحصر، ولكن نشير إلى أطراف منها؛ فمنها:

قوله ﷺ في الحديث الصحيح لأبي بكر رضي الله عنه: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ".

وفي الحديث الآخر (ائذن له وبشره بالجنة).

وفي الحديث الآخر (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان).

وقال رسول الله ﷺ (دخلت الجنة فرأيت قصراً، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر، فأردت أن أدخله، فذكرت غيرتك، فقال عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟).

وفي الحديث الآخر (يا عمر ما لقيك الشيطان سالكاً مجالاً إلا سلك مجالاً غير فجك).

وفي الحديث الآخر (افتح لعثمان وبشره بالجنة).

وفي الحديث الآخر قال لعلي (أنت مني وأنا منك).

وفي الحديث الآخر قال لعلي (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟).

وفي الحديث الآخر قال لبلال (سمعت دف نعليك في الجنة).

وفي الحديث الآخر قال لأبي بن كعب (ليهنأك العلم أبا المنذر).

وفي الحديث الآخر قال لعبد الله بن سلام (أنت على الإسلام حتى تموت).

وفي الحديث الآخر قال لأشج عبد القيس (إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله: الحلم والأناة).

وكل هذه الأحاديث التي أشرت إليها في الصحيح مشهورة، فلهذا لم أضفها، ونظائر ما ذكرناه من مدحه ﷺ في الوجه كثيرة.

وأما مدح الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والأئمة الذين يقتدى بهم رضي الله عنهم فأكثر من أن تحصر. (الأذكار)

قال النووي : قَالَ العُلَمَاءُ: وَطريقُ الجَمْعِ بَيْنَ الأَحَادِيثِ أَنْ يُقَالَ: إِنْ كَانَ المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إِيمَانٍ وَيَقِينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَة تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يَفْتَتِنُ، وَلا يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلا مَكْرُوهٍ، وإِنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٍ منْ هَذِهِ الأُمُورِ كُرِهَ مَدْحُهُ فِي وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، وعَلَى هَذَا التَّفْصِيلِ تُنَزَّلُ الأَحاديثُ المختَلفَة فِي ذَلِكَ.

وقال القرطبيّ رحمه اللهُ: وقد جاء عنه ﷺ أنَّه قال (إياكم والمدح، فإنَّه الذبح) رواه أحمد .

ويعني بذلك كله أن الممدوح إذا أُكثر عليه من ذلك يُخاف عليه منه العُجب بنفسه، والكِبْر على غيره، فيهلك دينه بهاتين الكبيرتين، فإذًا المدح مظنة الهلاك الديني، فيحرم، لكن هذه المظنة لا تتحقّق إلا عند الإكثار منه، والإطراء به، وأما مع الندرة والقلّة فلا يكون مظنة، فيجوز ذلك إذا كان حقًّا في نفسه، ولم يقصد به الإطراء، وأُمِن على الممدوح الاغترار به، وعلى هذا يُحمل ما وقع للصحابة ﷺ من مَدْح بعضهم لبعض مشافهةً، ومكاتبةً، وقد مُدِح النبيّ ﷺ مشافهة نظمًا ونثرًا، ومَدَح هو أيضًا جماعة من أعيان أصحابه مشافهة، لكن ذلك كله إنما جاز لَمّا صحّت المقاصد، وأُمنت الآفات المذكورة. ... (المفهم)

وقال الحافظ: قَالَ اِبْن بَطَّال: حَاصِل النَّهْي: أَنَّ مَنْ أَفْرَطَ فِي مَدْح آخَر بِمَا لَيْسَ فِيهِ لَمْ يَأْمَن عَلَى الْمَمْدُوح الْعُجْب لِظَنِّهِ أَنَّهُ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَة، فَرُبَّمَا ضَيَّعَ الْعَمَل وَالِازْدِيَاد مِنْ الْخَيْر اِتِّكَالًا عَلَى مَا وُصِفَ بِهِ.

فائدة :

روى الإمام أحمد عن مُعَاوِيَة ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ) رواه أحمد .

قال المناوي: لما فيه من الآفة في دين المادح والممدوح، وسماه ذبحاً لأنه يميت القلب فيخرج من دينه، وفيه ذبح للممدوح فإنه يغره بأحواله ويغريه بالعجب والكبر ويرى نفسه أهلاً للمدحة سيما إذا كان من أبناء الدنيا أصحاب النفوس وعبيد الهوى، وفي رواية: (فإنه من الذبح) وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور، أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهو مهلك كالذبح، فلذلك شبه به. قال الغزالي رحمه الله: فمن صنع بك معروفاً فإن كان ممن يحب الشكر والثناء فلا تمدحه؛ لأن قضاء حقه أن لا تقره على الظلم، وطلبه للشكر ظلم، وإلا فأظهر شكره ليزداد رغبة في الخير. ... (فيض القدير)

٦٣٦ – وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ (بَال أَعْرَابِيٌّ فِي المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) رواه البخاري.

وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ .

==========

قَالَ (بَال أَعْرَابِيٌّ فِي المسجدِ) الأعرابي : هو الذي يسكن البادية، قال في الفتح: والأعرابي المذكور قيل: هو ذو الخُوَيْصِرة اليماني، ذكره أبو موسى المديني، وقيل: هو الأقرع بن حابس التميمي، حكاه التاريخي عن عبد الله بن نافع المدني، وقيل: هو عيينة بن حصن، قاله أبو الحسين بن فارس.

(فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ) وفي رواية (فَزَجَرَهُ النَّاسُ) وفي رواية (فثار إليه الناس) وللبيهقي (فصاح به الناس).

(فَقَالَ النبيُّ ﷺ : دَعُوهُ) أي: اتركوه، ولمسلم (ولا تُزْرِموه) أي: لا تقطعوا عليه بوله.

(وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ) السَّجْلُ : بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: وَهِيَ الدَّلو الْمُمْتَلِئَةُ مَاءً .

(أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ) الذنوب: بفتح الذال وضم النون، هي الدلو المملوءة بالماء. (قاله النووي)

١–الحديث فيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً، ولذلك قال (فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين).

٢ – بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرأفة وحسن الخلق

فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ من أكثر الناس رفقًا بأصحابه .

فقد روى البخاري ومسلم مِن حَدِيثِ مَالِكِ بنِ الحُوَيرِثِ ﷺ قَالَ (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا قَالَ: ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) متفق عليه .

ولَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بنَ جَبَلٍ رضي اللهُ عنهما إِلَى اليَمَنِ، قَالَ لَهُمَا (يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا) .

وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ أَهلَ بَيتِهِ عَلَى الرِّفقِ .

روى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها (أَنَّ يَهُودَ أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ) .

وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ وُلَاةَ أُمُورِ المُسلِمِينَ عَلَى الرِّفقِ بِالرَّعِيَّةِ .

روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) .

بل إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَى الرِّفقِ بِالحَيَوَانِ :

روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) .

الخلاصة: أنه ينبغي على المؤمن أن يكون رفيقًا في جميع شؤونه، رفيقًا في معاملة أهله، وأولاده، وإخوانه، وأصدقائه، وفي معاملة عامة للناس، يرفق بهم، ومن كان هذا حاله فالنفوس ترتاح له، والقلوب تأنس به، والصدور تنشرح له، ويحصل على محبة الناس، وينبغي أن يكون الرفق ملازمًا للمؤمن في بيته، وسوقه، ومسجده، وفي كل مكان يخالط فيه الناس، فإذا فعل ذلك فقد أُعطي خيرًا كثيرًا، كما قال ﷺ : مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ .

٣ – الحديث دليل على أن النجاسة إذا كانت على الأرض فتطهر بصب الماء على المكان النجس بدون تكرار، سواء كانت الأرض صلبة أم رخوة.

وهذا مذهب جماهير العلماء كما حكاه النووي عنهم.

لحديث الباب وفيه (... فَأُهْرِيقَ عَلَيْه ...) ولم يحفر المكان أو ينقل ترابه بل اكتفى بصب الماء.

فإن كان للنجاسة جرم كعذرة أو دم جفّ، فلا بد من إزالة ذلك قبل تطهيرها بالماء.

٤ – الحديث دليل على وجوب صيانة المساجد عن الأقذار.

لأن النبي ﷺ قررهم على الإنكار، وإنما أمرهم بالرفق.

ولما جاء عند مسلم في هذا الحديث: (... لا تُزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه ثم قال: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن).

٥ – الحديث دليل على نجاسة البول، قال النووي: وهو مجمع عليه بإجماع من يعتد به.

٦ – الحديث دليل على وجوب غسل البول.

٧ – قال النووي: وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله ﷺ (دعوه).

أمر النبي ﷺ الصحابة أن يتركوه مع أنها مفسدة، في مقابل مفاسد أعظم.

من المفاسد التي يمكن أن تقع لو قاموا على الأعرابي وزجروه ومنعوه:

أ-أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به.

ب-أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد.

ج-تنفير الأعرابي عن الدين، حتى أنه جاء في بعض الروايات (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً أبداً).

٨ - الحديث دليل على أن من شروط الصلاة إزالة النجاسة من البقعة والثوب والبدن.

في البقعة: لحديث الباب.

وفي الثوب: لقوله تعالى (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) على أحد التفاسير.

وفي البدن: لحديث ابن عباس (مر النبي بقبرين فقال: إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ... أما أحدهما فكان لا يتنزه من بوله ...) متفق عليه.

٩ - الحديث دليل على المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع.

١٠ - وجوب إنكار المنكر، وقد اختلف العلماء في حكمه، والصحيح أنه فرض كفاية، وهذا مذهب جماهير العلماء.

لقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ).

قال ابن قدامة: في هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين، لأنه قال (ولتكن منكم) ولم يقل كونوا آمرين بالمعروف.

١١ - وجوب المبادرة بتطهير المساجد من النجاسة لقوله (فلما قضى بوله ...) ولأن النجاسة قد يخفى مكانها، وقد يصلَى عليها.

٦٣٧ - وعن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا). متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

١ - الحديث دليل على أن يستحب للمسلم التبشير والتيسير على الناس.

وقد جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: "بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا).

وعنه (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا) .

قال النووي: إِنَّمَا جَمَعَ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظ بَيْن الشَّيْء وَضِدّه؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَفْعَلهُمَا فِي وَقْتَيْنِ، فَلَوْ اِقْتَصَرَ عَلَى يَسِّرُوا لَصَدَقَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسَّرَ مَرَّة أَوْ مَرَّات، وَعَسَّرَ فِي مُعْظَم الْحَالَات، فَإِذَا قَالَ (وَلَا تُعَسِّرُوا) اِنْتَفَى التَّعْسِير فِي جَمِيع الْأَحْوَال مِنْ جَمِيع وُجُوهه، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوب، وَكَذَا يُقَال فِي (يَسِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا) (وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا) لِأَنَّهُمَا قَدْ يَتَطَاوَعَا فِي وَقْت وَيَخْتَلِفَانِ فِي وَقْت، وَقَدْ يَتَطَاوَعَانِ فِي شَيْء وَيَخْتَلِفَانِ فِي شَيْء.

٢-والتبشير الإخبار بما يسر ، وهو مستحب، لأن فيه إدخالاً للسرور على المسلم.

قال تعالى (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ).

وقال تعالى (وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ).

وقال تعالى (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً).

ولأن البشارة تسر العبد وتفرحه، فاستُحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه.

وقال معاذ للرسول ﷺ : أفلا أبشر الناس.

ولما ولد النبي ﷺ بشرت به ثُوَيْبة عمه أبا لهب – وكان مولاها – فأعتقها أبو لهب سروراً به.

ولما نزلت توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ذهب إليه البشير فبشره، فلما دخل المسجد جاء الناس فهنؤوه.

٢ – الْأَمْر بِالتَّبْشِيرِ بِفَضْلِ اللَّه وَعَظِيم ثَوَابه وَجَزِيل عَطَائِهِ وَسِعَة رَحْمَته، وَالنَّهْي عَنْ التَّنْفِير بِذِكْرِ التَّخْوِيف وَأَنْوَاع الْوَعِيد، مَحْضَة مِنْ غَيْر ضَمّهَا إِلَى التَّبْشِير

٣ – ذم الاختلاف، لأن الاختلاف سبب للفشَلَ والانهزام، كما قال تعالى (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) ومعنى الريح: القوّة، وقيل: النصر، وقيل: الدولة.

وقال الطيبيّ رحمه الله: قوله: "وتطاوعا، ولا تختلفا" يعني: كونا متّفقين في الحُكْم، ولا تختلفا، فإن اختلافكما يؤدّي إلى اختلاف أتباعكما، وحينئذ تقع العداوة، والمحاربة بينهم.

٤ – قال النووي: فيه أَمْر الْوُلَاة بِالرِّفْقِ وَاتِّفَاق الْمُتَشَارِكِينَ فِي وِلَايَة وَنَحْوهَا، وَهَذَا مِنْ الْمُهِمَّات فَإِنَّ غَالِب الْمَصَالِح لَا يَتِمّ إِلَّا بِالِاتِّفَاقِ، وَمَتَى حَصَلَ الِاخْتِلَاف فَاتَ.

٥ – قوله (**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا**) .

قال محمد الخولي –رحمه الله– وإنما نهى الرسول ﷺ عن التعسير بعد أمره بالتيسير، مع أنَّ الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده؛ تقوية وتأكيدًا؛ حتى لا يبقى لمتنطِّع عِلة يعتل بها لتَنَطُّعِه، على أنه لو اقتصر على «يسِّروا» لتحقق الامتثال بالتيسير مرة، وإن عسَّر مرارًا، فلما قَرَنَهُ بالنهي عن التعسير، والنهي يقتضي الكفّ عن الفعل دائمًا فَهِمْنَا المداومة على التيسير.

وقال ابن علان –رحمه الله– (يسِّروا ولا تعسِّروا) اليُسر ضد العُسر، وذكر في الثانية تأكيدًا وإطنابًا، وإلا فالأمر بالشيء نهي عن ضده، أو لأنه لو اقتصر على الأمر بالتيسير لصَدَقَ على من أتى به مرة وبالعسر بعض أوقاته، فلما قال: «ولا تعسروا» انتفى العسر سائر الأوقات؛ وذلك لقوله تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) .

٦–**قال القاضي عياض** –رحمه الله– يجب الاقتداء به ﷺ من التيسير في الأمور، والرفق بالناس، وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة، والتنفير لقلوبهم، لا سيما فيمن كان قريب العهد به، وكذلك يجب فيمن قارب حدَّ التكليف من الأطفال، ولم يتمكَّن رسوخ الأعمال في قلبه، ولا التمرُّن عليها، ألَّا يُشدَّد عليه ابتداءً؛ لئلا ينفر عن عمل الطاعات، نعم وكذلك يجب للإنسان في نفسه في تدريبها على الأعمال إذا صدقت إرادته، ألا يبتدئها أولًا إلا بتدريج وتيسير، حتى إذا آنست بحاله، ودامت عليها، ينقلها لحال آخر، وزاد عليها في عمل أكثر من الأول؛ حتى يرى قدر احتمالها، ولا يكلفها ما لعلها تعجز عنه، ولا يدوم عليه .

٧–قوله ﷺ لهما (**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**) .

قال محمد عبد العزيز الخولي –رحمه الله– كان من عادة الرسول ﷺ إذا بعث وِلَاته وعماله إلى الأقطار المختلفة أن يزودهم بالنصائح؛ حتى يكونوا للناس قدوة حسنة، ويجمعوا قلوبهم على الإسلام، فلما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن كلًّا منهما على مخلاف فيها –إقليم– زودهما بهذه النصيحة، فأمرهما بثلاثة، ونهاهما عن ثلاثة.

٨–قوله (**وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**) .

لأن الاختلاف سبب للفشل والانهزام كما قال تعالى (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) .

قال القسطلاني –رحمه الله– (تَطَاوَعَا) يعني: كونا مُتَّفِقَيْنِ في الحُكم ولا تَخْتَلِفَا، فإن اختلافكما يؤدي إلى اختلاف أتباعكما وحينئذٍ تقع العداوة والمحاربة بينهم .

وقال ابن الملك -رحمه الله- لئلا يقع بينكم العداوة والبغضاء والمحاربة.

وقال العيني -رحمه الله- فَإِن الِاخْتِلَاف يُورث الاختلال .

وقال ابن بطال -رحمه الله- فيه الحض على الاتفاق وترك الاختلاف؛ لما في ذلك من ثبات المحبة والألفة، والتعاون على الحق، والتناصر على إنفاذه وإمضائه.

٩-**قال ابن الملقن** -رحمه الله- فيه أنَّ العالم والواعظ والمقبول من قوله مأمور بألا يقنِّط الناس، وأن ييسِّر على المبتدئ في الإسلام، ولا يفاجئه بالشدة.

١٠-وَفِيهِ: وَصِيَّة الْإِمَام الْوُلَاة وَإِنْ كَانُوا أَهْل فَضْل وَصَلَاح كَمُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَع الْمُؤْمِنِينَ.

١١ - تأمير أهل الفضل، والعلم.

١٢ - بيان فضل أبي موسى، ومعاذ - رضي الله عنهما -، وأنهما من أهل الفضل، والعلم، ممن يستحقّ أن يولّى على المسلمين.

٦٣٨ - وعن أَبي هريرة ﷺ (أنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ أَوْصِنِي؟ قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»). رواه البخاري

==========

الحديث تقدم شرحه : ٤٨ .

١-في هذا الحديث وصية للنبي ﷺ بعدم الغضب، فإن الغضب من الصفات الذميمة التي وردت النصوص في ذمها والتحذير منها، فكم سبب من عداوات، وأحقاد، وفرقة بين الأزواج، وتشتت الأسر وضياع الأولاد، وقطع الأرحام، وكم حصل بسببه من حروب، وفتن، وسفك للدماء؟!

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه على الحِلم وعدم الغضب .

ومعنى (لا تغضب) ؟

قال السعدي: فإن قوله (لا تغضب) يتضمن أمرين عظيمين:

أحدهما: الأمر بفعل الأسباب والتمرن على حسن الخلق والحلم والصبر، وتوطين النفس على ما يصيب الإنسان من الخلق، من الأذى القولي والفعلي؛ فإذا وفق لها العبد، وورد عليه وارد الغضب، احتمله بحسن خلقه، وتلقَّاه بحلمه وصبره، ومعرفته بحسن عواقبه؛ فإن الأمر بالشيء أمر به، وبما لا يتم إلا به، والنهي عن الشيء أمر بضده، وأمر بفعل الأسباب التي تعين العبد على اجتناب المنهي عنه، وهذا منه.

الثاني: الأمر بعد الغضب أن لا ينفذ غضبه: فإن الغضب غالباً لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من عدم تنفيذه.

وقال الخطابي -رحمه الله- معنى قوله (لا تغضب) هو أن يحذر أسباب الغضب، (وألَّا) يتعرض للأمور التي تجلب عليه الضجر فتُغضِبه، فأما نفس الغضب فطَبْعٌ في الإنسان لا يمكنه نَزْعُه وإخراجه من جِبِلَّتِه، وقد يكون معنى قوله: «لا تغضب» أي: لا تفعل ما يأمرك به الغضب، ويحملك عليه من القول والفعل.

٢-**قال ابن حجر** -رحمه الله- ويُعِينُ على ترك الغضب: استحضار ما جاء في كظْمِ الغيظ من الفضل، وما جاء في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد، وأن يستعيذ من الشيطان.

وقد تقدم علاج الغضب وفضل كظم الغيب عند الحديث : (٤٨) .

٦٣٩ – وعن أَبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ (إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَليُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ) رواه مسلم.

==========

(**عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّاد بنِ أوسٍ**) هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين، من فضلاء الصحابة وعلمائهم.

قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحِلم، وقال خالد بن معدان: لم يبقَ بالشام أحدٌ كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وقال المفضل الغلابي: زهاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وعمير بن سعد، وشداد بن أوس، ولما قتل عثمان ﷺ، اعتزل، وعكف على العبادة.

قال ابن سعد: نزل فلسطين وله عقب، مات سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وكانت له عبادة واجتهاد.

(**إنَّ الله كَتَبَ**) أي: فرض وأوجب.

(**الإحسّانَ على كُلِّ شيءٍ**) قال القرطبي: "الإحسان " هنا: بمعنى الإحكام، والإكمال، والتحسين في الأعمال المشروعة، فحقّ من شَرَع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله، ويُحافظ على آدابه المصحّحة، والمكمّلة.

(**فإذَا قَتَلْتُم**) أي: أردتم قتل من يجوز قتله.

(**فَأَحْسِنُوا القِتْلَة**) أي: هيئة القتل، وإحسانها: اختيار أسهل الطرق وأخفها إيلاماً.

(**وإذا ذَبَحْتُم**) أي: أردتم ذبح ما يحل ذبحه من الحيوان.

(**فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ**) أي: هيئة الذبح، بأن يكون بسكين حادة، وأن يعجل إمرارها.

(**وليُحِدَّ أحدُكُمْ شَفْرَتَهُ**) قال النووي: قوله (وَلْيُحِدَّ) هُوَ بِضَمِّ الْيَاء يُقَال: أَحَدّ السِّكِّين وَحَدَّدَهَا وَاسْتَحَدَّهَا بِمَعْنًى.

(**ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**) وَلْيُرِحْ ذَبِيحَته، بِإِحْدَادِ السِّكِّين وَتَعْجِيل إِمْرَارهَا وَغَيْر ذَلِكَ، وَيُسْتَحَبّ أَلَّا يُحِدّ السِّكِّين بِحَضْرَةِ الذَّبِيحَة، وَأَلَّا يَذْبَح وَاحِدَة بِحَضْرَةِ أُخْرَى، وَلَا يَجُرّهَا إِلَى مَذْبَحهَا. وَقَوْله ﷺ: (فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَة) عَامّ فِي كُلّ قَتِيل مِنْ الذَّبَائِح، وَالْقَتْل قِصَاصًا، وَفِي حَدّ وَنَحْو ذَلِكَ. وَهَذَا الْحَدِيث مِنْ الْأَحَادِيث الْجَامِعَة لِقَوَاعِد الْإِسْلَام. (شرح مسلم)

١–في الحديث الأمر بالإحسان في كل شيء.

كما قال تعالى (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).

وقال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان).

وهذا الأمر بالإحسان قد يكون واجباً: كالإحسان إلى الوالدين والأرحام.

وقد يكون مستحباً: كصدقة التطوع.

وفي قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) هذا تعليل للأمر بالإحسان، أي: إن الله يحب المحسنين بنوعي الإحسان، الإحسان في عبادته، والإحسان إلى عباده.

٢–الإحسان هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسَن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي إلى ذلك.

٣–وأعظم دافع للإحسان مراقبة الله تعالى، ولذلك قال النبي ﷺ في تعريفه (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تره فإنه يراك).

وسؤال جبريل هذا ليعلم أصحاب النبي ﷺ معنى الإحسان، وأن إحسان العمل إنما يكون لمن راقب الله وعلم يقيناً أن الله مطلع عليه.

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل.

كما قال تعالى في أول سورة هود (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً). ولم يقل أيكم أكثر عملاً.

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

٤-الإحسان في عبادة الله: أن تقوم بالعمل متقناً فيه إخلاصاً ومتابعة.

والإحسان إلى المخلوق: بأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة، وأن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك.

قال السعدي: والإحسان نوعان:

الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى المخلوق.

فالإحسان في عبادة الخالق: فسرها النبي ﷺ بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وأما الإحسان إلى المخلوق: فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده. (تفسير السعدي)

٥-ذكر النبي ﷺ مثالاً للإحسان: وهو الإحسان في ذبح الحيوان. فقال (وإذا ذَبَحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحدُكُمْ شَفْرَتَهُ، ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ).

فالحديث دليل على الأمر بإحسان ذبح الذبيحة ... وذلك بأن نذبحها على الوجه المشروع.

ومن ذلك:

حد الشفرة لأن ذلك أسهل للذبيحة. فلا يجوز أن يذبحها بآلة كالة [أي ليست بجيدة].

ولا يحد الشفرة أمام الذبيحة، لأن النبي ﷺ أمر أن تحد الشفار، وأن تواري عن البهائم.

قال النوويّ -رحمه الله- قوله (ولْيُرِح ذبيحته) أي: بإحداد السكين، وتعجيل إمرارها، وغير ذلك، ويستحبّ أن لا يُحِدّ السكين بحضرة الذبيحة، وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يَجُرّها إلى مذبحها.

وقال القرطبيّ: وإحسان الذبح في البهائم: الرفقُ بالبهيمة، فلا يصرعها بعنف، ولا يجُرّها من موضع إلى موضع، وإحداد الآلة، وإحضار نيّة الإباحة والقربة، وتوجيهها إلى القبلة، والتسمية، والإجهاز، وقطع الودجين، والحلقوم، وإراحتها، وتركها إلى أن تبرُد، والاعتراف لله تعالى بالمنّة، والشكر له على النعمة بأنه سخّر لنا ما لو شاء لسلّطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرّمه علينا. وقال ربيعة: من إحسان الذبح ألا تذبح بهيمة، وأُخرى تنظر.

وقال ابن رجب -رحمه الله-: قال الإمام أحمد: تُقاد إلى الذبح قودًا رفيقًا، وتوارى السكين عنها، ولا تظهر السكين إلا عند الذبح، أمر رسول الله ﷺ بذلك أنْ تُوارى الشفار، وقال: ما أُبهمت عليه البهائم فلم تبهم أنها تعرف ربها، وتعرف أنها تموت، وقال يُروى عن ابن سابط أنه قال: إنَّ البهائم جُبلت على كل شيء، إلا أنَّها تعرف ربها، وتخاف الموت.

وقال ابن الملقن -رحمه الله- وكَرِهَ أبو هريرة أنْ تُحَدَّ الشفرةُ والشاة تنظر إليها، وروي أنه ﷺ رأى رجلًا أضجع شاة، فوضع رِجْلَهُ على عُنقها وهو يحد شفرته، فقال ﷺ: «ويلك، أردتَ أنْ تميتها موتات، هلَّا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- قوله (الحجاوي) (وأنْ يحدَّها والحيوان يُبصره) أي: يحد الآلة، وجُملة «والحيوان يُبصره» هذه جملة حاليَّة، يعني: والحال أنَّه يبصره؛ لأنَّ النبي ﷺ «أَمَرَ أنْ تُحدَّ الشِّفَار، وأنْ تُوارى عن البهائم»، فأمر بأمرين:

الأول: حد الشفرة، يعني: سَنّها.

الثاني: أنْ تُوارى عن البهائم حال حدِّها، وفي غير هذه الحال أيضًا، حتى إذا أتيتَ لتذبحها لا تُظهر لها السكين، بل وارها عنها، إلا عند الذبح، كما نص على ذلك الإمام أحمد -رحمه الله-، وهذا ظاهر الحديث (وأنْ تُوارى) يعني: الشفرة «عن البهائم» لأنها تَعرف ربها -سبحانه وتعالى-، وتسبّح بحمده، وتَعرف الموت؛ ولهذا تَهْرُب.

وقال الشيخ ابن عثيمين أيضاً: يجب حدُّ الشَّفرة؛ لأن ذلك أسهل للذبيحة، ومعنى إحدادها: أنْ يمسحها بشيء يجعلها حادة، فإنْ ذبح بشفرة كالَّة -أي: ليست بجيدة- ولكن قطع ما يجب قطعه، فالذبيحة حلال؛ لكنه آثم، حيث لم يحد الشفرة.

وقال ابن قدامة -رحمه الله- يكره أنْ يُسن السكين والحيوان يُبصره، ورأى عمر رجلًا قد وضع رجله على شاة، وهو يحد السكين، فضربه حتى أَفْلَتَ الشاة.

وقال النووي -رحمه الله- الأَولى أنْ تُساق (الذبيحة) إلى المذبح برفق، وتُضجع برفق، ويعرض عليها الماء قبل الذبح، ولا يحدّ الشفرة قبالتها، ولا يذبح بعضها قبالة بعض.

وقال المناوي -رحمه الله- من الرِّفق بها (الذبيحة) والرحمة بها أنْ لا يذبح أخرى عندها، ولا يحد السكين وهي تنظر، فقد مر النبي ﷺ برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظُه فقال: أفلا قَبْلَ هذا؟ تريد أن تميتها موتات؟». رواه الطبراني وغيره

٦-وجوب إراحة الذبيحة.

٧-في الحديث الحث على الرحمة والشفقة بالحيوان، والإسلام له السبق في هذا الميدان، قبل جماعات الرفق بالحيوان التي أنشئت حديثًا في أوروبا وغيرها .

وفي مسند أحمد عن قُرَّةَ بن إياس ﷺ (أن رجلًا قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة، وأنا أرحمها، أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: والشاة إن رحمتها رحمك الله، والشاة إن رحمتها رحمك الله).

قال الساعاتي -رحمه الله- رحمة الشاة: أن يستعمل معها الآداب ... كأن يحد السِّكين، وأن يسرع في الذبح، وأن لا يذبحها أمام أختها، ونحو ذلك. انتهى

وفي الحديث: أن الرَّحمة بالمخلوقات من أسباب استحقاقِ رحمةِ الله في الآخرة.

قال المناوي -رحمه الله- (والشاة إن رحمتها رحمك الله ...) ولهذا ورد النهي عن ذبح حيوان بحضرة آخر.

وقال رحمه الله: ... ومن الرفق بها، والرحمة بها: أنْ لا يذبح أخرى عندها، ولا يحد السكين وهي تنظر، فقد مرَّ النبي ﷺ برجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظُهُ، فقال: أفلا قَبْل هذا؟ تريد أن تميتها موتات؟.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله- الرفق بالدواب في ركوبها، والحمل عليها واجب سُنة، فإنها عجم لا تشكو، وهي من ملك اليمين، وفي كل كبد رطبة أجر، هذا قول رسول الله ﷺ، وإذا كان في الإحسان إليها أجر، فكذلك في الإساءة إليها وزر، وقد شكا إلى رسول الله ﷺ جملٌ أنَّ صاحبه يُجِيْعُهُ، فأمره بالإحسان إليه، أو يبيعه، ولا يحمل على الدواب أكثر من طاقتها، ولا

يضرب وجوهها، ولا تتخذ ظهورها كراسي، ولا تقلد الأجراس إلا أنْ تكون بدار الحرب تهيُّبًا للعدون، ولا تُستعمل ليلًا إلا أنْ يروح عنها نهارًا، ولا يحل حبس بهيمة مربوطة عن السرج، والتحريش بين البهائم مكروه.

٨-فيه سماحة الشريعة ويسرها؛ حيث بنيت على الإحسان والإتقان.

٦٤٠ – وعن عائشة رضي الله عنها، قالت (مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى) متفقٌ عَلَيْهِ.

==========

(بَيْنَ أَمْرَيْنِ) أي: من أمور الدنيا، يدلّ عليه قوله: "ما لم يكن إثمًا"؛ لأن أمور الدين لا إثم فيها.

(إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا) أي: أسهلهما.

(مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا) أي: ما لم يكن الأسهل مقتضية للإثم، فإنه حينئذ يختار الأشَدّ، وفي حديث أنس عند الطبرانيّ في "الأوسط": "إلا اختار أيْسَرَهما ما لم يكن لله فيه سُخْطٌ".

(تنتهك حرمات الله) ترتكب المحرمات.

١ – الحديث دليل على أن الإسلام دين اليسر والرحمة.

٢ – الأخذ بالأيسر في كافة الأمور الدينية والدنيوية هو منهج الرسول ﷺ .

قال القرطبيّ: قول عائشة – رضي الله عنها –: "ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما"؛ تعني: أنه كان ﷺ إذا خيَّره أحد في شيئين يجوز له فِعل كل واحد منهما، أو عُرضت عليه مصلحتان؛ مالَ للأيسر منهما، وترك الأثقل؛ أخذًا بالسُّهولة لنفسه، وتعليمًا لأمَّته، فإذا كان في أحد الشيئين إثم تَرَكه، وأخذ الآخر، وإن كان الأثقل.

٣ – على الإنسان أن يأخذ بالأمر الأسهل في أموره بشرط ألا يكون الأسهل معصية لله.

وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر، عن الزهريّ، بهذا الإسناد مطوّلًا، وأوله (ما لَعَنَ رسولُ الله ﷺ مسلمًا بذكر- أي: بصريح- اسمه، ولا ضرب بيده شيئًا قطّ، إلا أن يَضْرِب بها في سبيل الله، ولا سُئل في شيء قط، فمنعه، إلا أن يُسأل مأثَمًا، ولا انتقم لنفسه من شيء، إلا أن تُنتهك حرمات الله، فيكون لله ينتقم ..." الحديث

وأخرجه الطبرانيّ في "الأوسط" من حديث أنس ﷺ وفيه: "وما انتَقَم لنفسه، إلا أن تُنتهَك حرمة الله، فإن انتُهِكت حرمةُ الله كان أشدّ الناس غضبًا لله.

٤ – وجوب الابتعاد عن المعاصي مهما صغرت.

٥ – الحث على ترك الأخذ بالشيء العسر والاقتناع باليسير.

٦ – فضيلة العفو عن الناس فيما يتعلق بحق الإنسان نفسه.

٧ – فضيلة الغضب لله والانتقام لدين الله.

٨ – وجوب الغضب لله إذا انتهكت محارمه ، قال الإمام النووي : وانتهاك حرمة الله تعالى هو ارتكاب ما حرمه .

وفي هذا : أن الغضب لمحارم الله تعالى التي تُنتهك محلُّ مدحٍ وثناءٍ في الشريعة بل هو مطلب شرعي .

وقد تمثل النبي ﷺ هذا النوع المحمود من الغضب في عدة مواضع ومن ذلك :

أ-عن عائشة رضي الله عنها (أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه .

ففي هذا الحديث غضب الرسول ﷺ عندما انتهكت حرمة الله وهي أن أسامة بن زيد ﷺ شفع في حد من حدود الله ، وقد نبه أسامة ﷺ فقال له معاتباً مع أنه حبه : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام ونبه وخطب أصحابه فكان توجيهاً للأمة من بعدهم على عدم جواز الشفاعة في حدود الله .

ب- وعن عائشة رضي الله عنها قالت (دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلّون وجهه وقال : يا عائشة: أشدّ الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله) رواه مسلم . القرام: الستر الرقيق.

ففي هذا الحديث غضب النبي ﷺ لما رأى تلك التصاوير المحرمة .

ج-عن ابن مسعود ﷺ قال (قسم النبي ﷺ قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قلت أما أنا لأقولن للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررته فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر) رواه البخاري.

وكان غضب النبي ﷺ في هذه الحادثة غضبة لله .

د- عن أبي مسعودٍ ﷺ قال (أتى رجلٌ النَّبيَّ ﷺ فقال: إنِّي لَأَتَأَخَّرُ عن صَلَاةِ الغَدَاةِ مِن أجْلِ فُلَانٍ؛ ممَّا يُطِيلُ بنَا فِيهَا، قالَ: فما رَأيتُ النَّبيَّ ﷺ قَطُّ أشَدَّ غَضَبًا في مَوعِظَةٍ منه يَومَئِذٍ! ثُمَّ قالَ: يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ مِنكم مُنَفِّرينَ، فأيُّكم ما صَلَّى بالنَّاسِ فلْيُوجِزْ؛ فإنَّ فيهم الكَبيرَ والضَّعيفَ وذا الحاجةِ) متفق عليه .

٦٤١ - وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (ألاَ أخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيّنٍ، لَيّنٍ، سَهْلٍ) رواه الترمذي وقال: «حديث حسن».

==========

(**ألاَ أخْبِرُكُمْ** ....) (أَلَا) أداة استفتاح أُتِي بها لتنبيه السامع على ما بعدها، كقوله «أُخبركم»؛ ليستيقظ المخاطَب من غمرات الأفكار، ويتوجه لتلقي ما يُلقى عليه .

(**بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟**) أي : لا يدخلها .

١-الحديث دليل على فضل الإنسان السهل اللين القريب من الناس ، وأن ذلك من أسباب عدم دخول النار .

كُلِّ قَرِيبٍ :

(القريب) لسهولة أخلاقه لا يتباعد منه الناس، ولا يتوحشون منه .

هَيّنٍ :

المنقاد لكل أحد، المتحمّل أقوالهم وأفعالهم الذين أمروه بإتيانها .

لَيّنٍ :

أي : حليم ، ضد الخشونة .

سَهْلٍ :

أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه: أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء على ما ورد في فضل المؤمن الكامل .

قال الصنعاني -رحمه الله- (سهل) غير صعب الأخلاق، ولا بعيد عن حوائج العباد.

٢-قال عبد الحق الدهلوي -رحمه الله- اعلم أنه أُتِي في السؤال بكلا الشقين -أعني حرمة الشخص على النار، وحرمة النار على الشخص- تأكيدًا ومبالغة في بُعده عنها، ولَمَّا كان مآل العبارتين إلى معنى واحد اقتُصر في الجواب على أحدهما؛ لقربه؛ ولكونه المتعارف في العبارة عن ذلك المعنى .

٣-معنى لا يدخل النار .

قال زكريا الأنصاري : (حرم على النار) أي: دخولها مؤبَّدًا؛ جمعًا بينه وبين ما ورد من دخول أهل المعصية فيها. .

وقال ابن علان -رحمه الله- (حَرُمَ على النار) أي: المعدة لعذاب الكفار، أو على سبيل الخلود المؤبَّد، فلا ينافي ما ثبت من تعذيب بعض عصاة المؤمنين بها.

٤-في هذا الحديث: استحباب ملاطفة الناس، وتسهيل الجانب لهم، وقضاء حوائجهم .

٥-فضل حُسن الخُلُق: فالقرب واللين والسهولة في التعامل من أسباب النجاة من النار.

٦-الحث على الرفق بالناس في القول والفعل، والابتعاد عن القسوة والغلظة.

٧-الحديث يجمع حسن التعامل مع الناس: فالمؤمن لا يقتصر صلاحه على عبادته الخاصة، بل يظهر أثر إيمانه في معاملته للآخرين.

٨-بعض أسباب النجاة من النار؟

قال ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي.

وقال ﷺ (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي.

وقال ﷺ (من ابتلي بشيء من هذه البنات، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار) رواه مسلم.

وقال ﷺ (من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان، براءة من النار، وبراءة من النفاق). رواه الترمذي

وقال ﷺ (من كان سهلاً ليناً حرمه الله على النار) رواه الحاكم.

وقال ﷺ (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) رواه مسلم.

وقال ﷺ (من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار) .

وقال ﷺ (من أعتق رقبة مؤمنة كانت فكاكه من النار).